

الإرشاد والتوجيه في خدمة الفرد والمجتمع

الملخص:

إن خدمات الإرشاد والتوجيه تهدف إلى الوصول بالفرد إلى فهم نفسه وبيئته وتوضيح أبعاد تلك العلاقة التي تربطهما بهدف تحقيق التكيف السليم للفرد واندماجه السوي وسط البيئة التي يعيش فيها، فالإرشاد والتوجيه يعتبر خدمة نفسية وتربوية تسعى إلى إقامة الظروف التي تسمح للفرد بتحقيق ذاته وتكيفه مع الحياة الدراسية والمهنية من جهة، وتأمينه من مخاطر ونتائج التحولات والتغيرات التي يشهدها المجتمع المعاصر في مختلف ميادين من جهة أخرى.

أ. بشلاغم يحيى

قسم علم النفس

كلية الآداب والعلوم الإنسانية و الاجتماعية

جامعة تلمسان

يعد الإرشاد والتوجيه عملية ملازمة للإنسان خلال مختلف مراحل نموه ونضجه، فهو كان يمارس من قبل ضمينا من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي كان يخضع لها الإنسان دون أن يأخذ الاسم أو الاتجاه العلمي الذي هو عليه الآن، غير أن التطورات التي حدثت على الأسرة والمجتمع، بمختلف مؤسساته جعلت منه تخصصا قائما بذاته له أسس ونظرياته ومجالاته وبرامجه وله أخصائيون معدون علميا وفنيا للقيام به داخل المؤسسات التربوية والمراكز الخاصة.

ولعل ما زاد في الحاجة إلى خدمات الإرشاد والتوجيه هو كون الإنسان يتعرض خلال مختلف مراحل نموه إلى مشكلات مختلفة وفترات حرجة يحتاج من أجل التعامل معها وحلها إلى المساعدة والإرشاد والتكفل الخاص، تلك المشكلات التي هي نتيجة حتمية للتغير الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للمجتمع ونتيجة للتطور التكنولوجي الذي تستنفده مختلف ميادين الحياة ونتيجة لتطور التعليم ومناهجه وارتفاع أعداد التلاميذ في المدارس والتغيرات

والتطورات التي تحدث على ميدان العمل، فكل هذه العوامل وغيرها تريد من التأكيد على ضرورة وأهمية الإرشاد والتوجيه النفسي والتربوي بالنسبة للإنسان.

ويعتبر الإرشاد المدرسي والمهني خدمة نفسية وتربوية تقدم في إطار فردي أو جماعي حيث تتجه إلى الفرد بهدف المحافظة على ذاته وشخصيته وإقامة الظروف التي تؤدي إلى نموه ونضجه وتكيفه مع الحياة المدرسية والمهنية، فهو يساعد التلاميذ على استكشاف قدراتهم وميولهم المهنية والدراسية حتى يتمكنوا من تحقيق الاختبار المدرسي والمهني المناسب لتلك القدرات والميول.

ويرى جان دريفيون - Jean DREVILLON - بأن قضية التوجيه المهني تعد إحدى المسائل الإنسانية في الاقتصاد باعتبار أنه يسعى إلى وضع كل عامل في مكانه أي في المكان الذي يكون فيه أكثر فعالية في سلم الإمكانيات التي يقدمها مجتمع ذلك الوقت (جان دريفيون، 1998).

ويواصل جان دريفيون في التأكيد على الأهمية والحاجة المهمة للتوجيه والإرشاد بالقول: "... فتحت ضغط الوقائع الاقتصادية يقوم التوجيه على البحث عن الوسائل والاستراتيجيات التي تتيح للفرد التطور الأمثل لكل طاقاته بغية جعله ولو في الظاهر أقل خضوعاً لدرجة الضغوط الاقتصادية " (جان دريفيون، 1998: 33).

غير أن هذه الغاية التي ذكرها - جان دريفيون - لا يمكن بلوغها وتحقيقها إلا من خلال التكفل بالطفل من مراحله التعليمية الأولى وذلك من خلال التعرف عليه من الجانب الدراسي، النفسي، الاجتماعي، ومتابعته واستغلال نتائج ذلك التقييم من أجل تحديد نمط التوجيه المناسب له والموافق لقدراته واستعداداته وميوله ورغباته وذلك بهدف تحقيق التكيف الدراسي والمهني مستقبلاً، فالتوجيه المدرسي هو المرحلة الأولى للتوجيه المهني، فحسب لوك - H. LUC فإنه لا يجب أن نسجل انقطاع بين مرحلة الدراسة ومرحلة العمل، لأننا إذا اخترنا دراستنا فقد اخترنا مهنتنا وحياتنا. (CH. CHARRIER et R. OZOUF).

إن عملية نضج الطفل من مختلف النواحي الجسمية، العقلية، الانفعالية، النفسية، يحتم على برامج التوجيه والإرشاد ومشتغلها أن تأخذ بعين الاعتبار خصوصيات تلك التغيرات وأن تبني استراتيجياتها في ضوء متطلبات ذلك النمو، فالمرشد يجب أن يعمل في إطار فهم مراحل النمو ومتطلباتها حتى يتمكن من تحقيق غايات برامج التوجيه والإرشاد المسطرة.

إن الغاية التي ذكرها - جان دريفيون - حول أهمية التوجيه والإرشاد لا يمكن تحقيقها من خلال التركيز على الطفل أو التلميذ بمعزل عن الإطار العام الذي ينمو فيه، فلخدمة الغرض الذي أشار إليه يجب أن يلعب الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي دورا بارزا في تطوير التعليم والتكفل بالتنشئة الاجتماعية بشكل يزود به شخصيات الأطفال بالمرونة الكافية لمواجهة تقلبات ومطالب المستقبل خاصة في ظل التطور السريع الذي تشهده مجالات العلوم والتكنولوجيا من جهة وفي ظل التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي يشهدها المجتمع عموما من جهة أخرى.

إن التعليم بشكله الحالي التقليدي أين تصبح فيه العلاقة بين المعلم والمتعلم علاقة تلقين أو علاقة مرسل ومستقبل لا يخدم هذا الغرض، ذلك أن هذا الشكل من العلاقة يقتل لدى الطفل والتلميذ الرغبة في التغيير والتطلع إلى الأحسن، فالتعليم إضافة إلى وظيفته التكوينية والتعليمية يجب أن يزود الطفل والتلميذ بآليات لمواجهة مطالب وتقلبات المستقبل مع تعزيز القدرة على الاختيار الأنسب في عالم غير ثابت يمتاز بسرعة التغير وذلك من خلال تمكين الناشئة من تعلم المهارات اللازمة للعصر المقبل أو المستقبلي.

إن سياسة التكوين يجب أن تبني انطلاقا من مبدأ " المجتمع المتغير "، فالتكنولوجيا والتحولات التي يشهدها المجتمع المعاصر لا تتطلب تعليما سطحيا وعاما بل تتطلب جيلا قادرا على اتخاذ القرار وتحمل التنوع والتغيير وهذا ما يؤدي إلى تنمية القدرة على التكيف لدى الفرد.

إن برامج التعليم من هذا المنطلق يجب أن تعمل على تحقيق رفع القدرة على التكيف لدى الفرد سواء أكان ذلك الفرد متعلما أو معلما مما يستدعي بالضرورة التفكير المستمر في

أنواع المهن والتخصصات والأعمال التي يحتاج إليها المجتمع خلال العقود القادمة وما يصاحبها من أشكال العلاقات الإنسانية التي تنجم عنها وأنواع الاضطرابات والضغوطات التي قد تسببها لممتهنيها وبالتالي التنبؤ بطرق وسبل التكفل بها قبل استفحالها..

وبهذا الشكل يصبح الإرشاد والتوجيه يتمثل في تلك العمليات التي تهدف إلى الوصول بالفرد لمعرفة نفسه وبيئته ومساعدته على تعلم أساليب لمعالجة العلاقة بين الذات والبيئة مع توضيح أبعاد تلك العلاقة وبالتالي مساعدة الفرد على الوصول إلى اتخاذ القرار المناسب للمشكلات التي تواجهه سواء فيما يتعلق بالمسائل المهنية أو التربوية أو غيرها من المشاكل الشخصية.

ويمكن الإشارة هنا إلى أنه مهما تعددت وتباينت الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها الإرشاد والتوجيه على مستوى الفرد والمجتمع إلا أن مهمته الأساسية تتمثل في مساعدة الفرد على اتخاذ القرار المناسب بشأن المشكلات التي تواجهه.

ويمكن حصر أهم الوظائف التي يسعى إلى تحقيقها الإرشاد والتوجيه فيما يلي:

1- تحقيق الذات: إن الهدف الأساسي للإرشاد والتوجيه هو العمل على مساعدة الفرد على تحقيق ذاته سواء كان ذلك الفرد عاديا أو متفوقا، سويا أو شاذا، متأخرا دراسيا أو ناجحا، فالمهم هو أن ينظر الفرد إلى نفسه بعين الرضا.

وفي هذا الصدد، يقول - كارل روجرز - CARL ROGERS - بأن الفرد لديه دافع أساسي يوجه سلوكه وهو دافع تحقيق الذات، وأن استثمار هذا الدافع يؤدي بالفرد إلى فهم استعداداته وإمكانياته أي تقييم نفسه وتقويمها وتوجيهها الوجهة الصحيحة، فالمهم هو استكشاف نقاط القوة لدى الفرد واستثمارها في الاتجاه الإيجابي والابتعاد قدر الإمكان على مبدأ " الكل أو لا شيء " (حامد عبد السلام زهران، 1980).

إن التوجيه والإرشاد يجب أن يساعد الفرد على تحقيق القدرة على توجيه حياته بنفسه في حدود استعداداته وقدراته والمعايير الاجتماعية السائدة في مجتمعه.

2- تحقيق التوافق بأنواعه: الشخصي، التربوي، المهني، الاجتماعي، فالإرشاد والتوجيه يساعد الفرد على تحقيق الرضا عن نفسه واختيار انطب التخصصات الموافقة لقدراته وميوله والتخطيط لاختيار المهنة المناسبة والاستعداد لها علميا وعمليا.

3- تحسين العلمية التربوية وذلك من خلال إثارة الدافعية لدى الفرد وتشجيع الرغبة للتحصيل واستثمار مبدأ الفروق الفردية من خلال استكشاف المتفوقين والمتخلفين ومساعدة كل فئة على النمو في ضوء قدراتها، بالإضافة إلى المساهمة في تطوير البرامج ووضع السياسات التربوية المنتهجة والعمل مع المؤسسات التربوية من أجل تحسين أدائها و مردودها التربوي.

4- إنه وسيلة لخدمة أغراض اقتصاد للمجتمع، فوضع التلميذ المناسب في التخصص المناسب له آثار إيجابية مستقبلا على الفرد نفسه وعلى المجتمع بكامله، فالتوجيه السيئ لا يؤدي إلى صراعات داخلية فردية فحسب بل يؤدي إلى إنفاق إضافي من خلال زيادة تكاليف التأهيل بسبب الرسوب.

5- تحقيق الاندماج الاجتماعي السليم وذلك من خلال تعزيز وتقوية الصلة بين مختلف مؤسسات المجتمع وتحضير الفرد للالتزام بالمعايير الاجتماعية السائدة ومساعدته على تقبل التغير الاجتماعي وتعديل القيم حسبما تقتضيه خصوصيات تطور المجتمع، كما يساعد الفرد على تنمية القدرة على التكيف مع التحولات الاجتماعية التي يشهدها المجتمع الذي يعيش فيه والامتنال لمعايير، مما يؤدي إلى التكيف الاجتماعي السليم وتجنب الصراعات والتراعات بمختلف أشكالها.

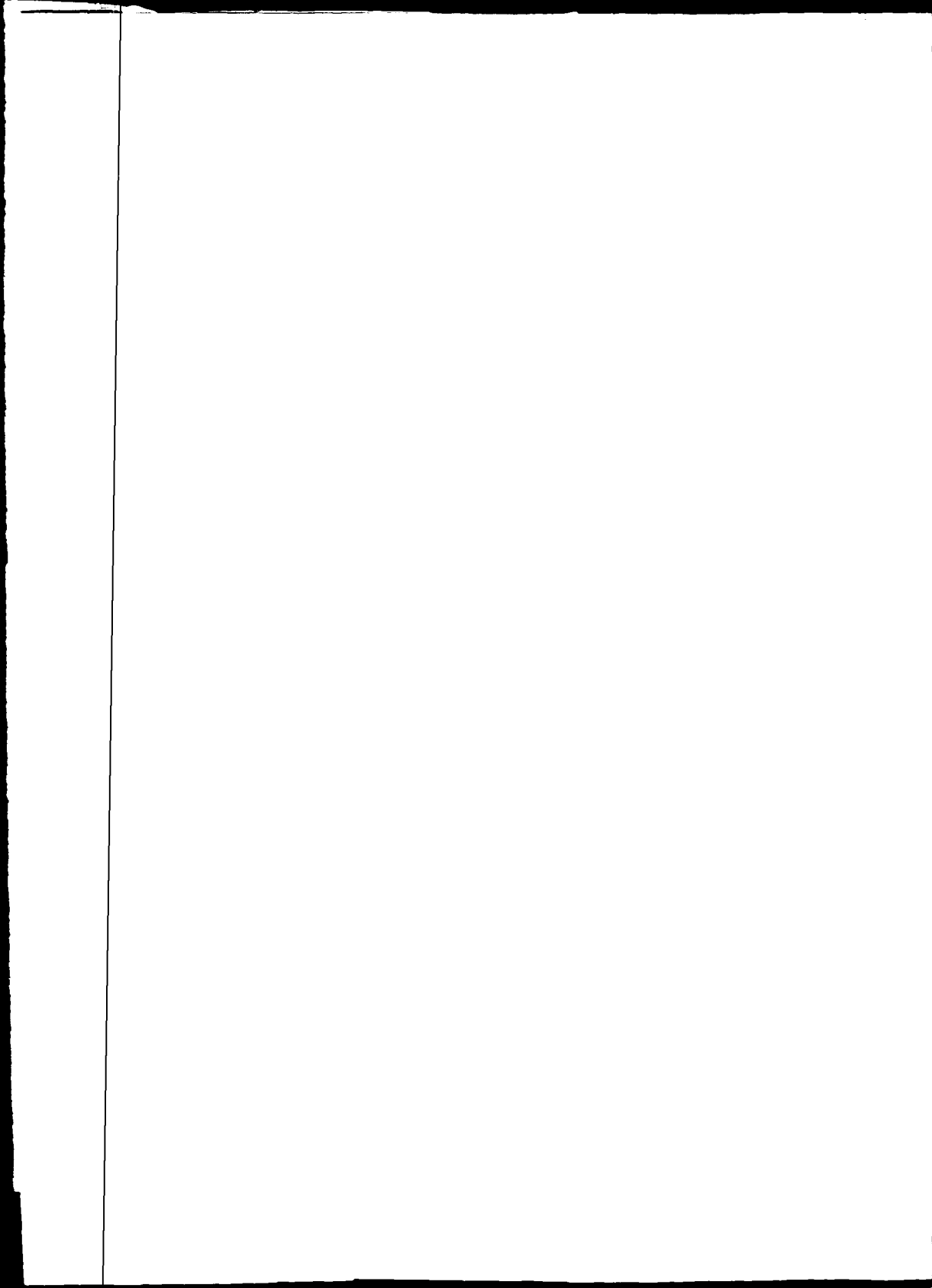
يتضح بعدما تقدم ذكره بأن التوجيه يتعدى بكثير عملية وضع التلميذ في شعبة معينة أو تخصص معين من تخصصات التعليم الثانوي أو التعليم التقني، فالأمر يتعدى ذلك بكثير باعتبار أن الإرشاد والتوجيه يهدف إلى مساعدة التلميذ على تحديد وتجهيز مشروع حياتي بصفة تدريجية خلال مختلف مراحل التعليم والتكوينية.

إن بلوغ هذه الغاية يتطلب من المعنيين (كل حسب تخصصه ومجاله) التكفل بالتلميذ في سن مبكر من خلال إرشاده وتدريبه على استكشاف وتطوير واستغلال قدراته واستعداداته التي تضمن له فرض نفسه كعضو فعال في المجتمع مستقبلا، وبالتالي تحضيره لمواجهة الحياة بصفة عامة والحياة العملية بصفة خاصة.

إن المعنيين بالتوجيه والإرشاد ومن أجل تحقيق ذلك عليهم تركيز نشاطاتهم وأعمالهم على محاور أساسية مثل: الإعلام والاتصال، التقويم، المتابعة الإرشاد، فالإعلام والاتصال يرمي إلى خلق روح البحث العلمي لدى التلميذ للوصول به لاستقلالية الاختيار من خلال معرفة نفسه ومحيطه واتخاذ القرار المناسب، أما التقويم (بشكله الدراسي والنفسي خاصة) فيساعد على التعرف الدقيق على التلميذ من مختلف النواحي وتحديد مستواه الفعلي ومتابعته وإرشاده منذ مراحل التعليم الأولى، في حين فإن عملية المتابعة والإرشاد فهي تعني حسن استغلال نتائج التقويم والإعلام الموضوعي والمشخص.

إن تحقيق هذه النشاطات يضع المنظومة التربوية أمام مشكل مدى توفر الإمكانيات المادية والبشرية المؤهلة في مختلف المستويات، فعمليات الإعلام والاتصال زيادة على استعمال تقنيات وأساليب منهجية تتطلب استغلال وسائل مادية وتقنية متطورة، وعملية التقويم تتطلب تكويننا وإعدادا مناسبين لكل من المرشد النفسي والمعلم أو الأستاذ (كل في مجال اختصاصه)، زيادة على توفير بعض الوسائل والأجهزة المادية مثل (الرواثر النفسية والاستبيانات بمختلف أنواعها) والإعداد لاستعمالها وحسن استغلال نتائجها.

ويمكن القول في الأخير بأنه بالرغم من أن حياة الإنسان الحالي تتميز بالتعقيد وارتفاع مستوى الضغط النفسي والاجتماعي والقلق نظرا لسرعة التحولات والتغيرات التي يشهدها المجتمع في مختلف ميادين، تبرز أهمية الإرشاد والتوجيه كحل للتقليل من حدة تلك الضغوطات من خلال تزويد الفرد بأساليب التكيف السليم النفسي والاجتماعي، لذا وجب على القائمين على المنظومة التربوية والتكوينية خاصة والمكلفين بتربية الناشئة عموما أن يولوا



الاهتمام اللازم لخدمات الإرشاد والتوجيه النفسي و زهران، عالم الكتب، الطبعة الثانية، القاهرة، مصر،
مكاتها اللازمة على مستوى مختلف مؤسسات المجتمع.

الهوامش والمراجع

- 1- جان دريفيون، التوجيه التربوي والمهني، ترجمة ميشال أبي فاضل، عويدات للنشر والطباعة، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1998.
- 2- حامد عبد السلام زهران، التوجيه والإرشاد النفسي، عالم الكتب، الطبعة الثانية، القاهرة، مصر، 1980.
- 3- يوسف مصطفى القاضي وآخرون، الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي، دار المريخ، الطبعة الأولى، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1981.
- 4- Ch. CHARRIER et R. OZOUF, PEDAGOGIE VECUE, FERNAND NATHAN EDITEUR, PARIS, FRANCE.